

قائد لا يُشترى: برونو يرفض السعودية ويُلهب المدرجات



بقلم: ياسر الحجاج...

المال لا يشتري كل شيء"... يبدو أن برونو فرنانديز، قائد مانشستر يونايتد، أعاد تفعيل هذه القاعدة الكلاسيكية في زمن تغري فيه الأرقام الفلكية أبرز نجوم الكرة العالمية. بعد تداول تقارير عن اهتمام أندية سعودية بالحصول على خدماته، كان موقف البرتغالي واضحًا: لا للمغريات. نعم للانتماء.

في وقتٍ تتسابق فيه الصفقات على فتح أبواب الشرق، قرر برونو أن يبقى حيث الجماهير والتاريخ، حيث الضغط العالي والهوية الأوروبية. قرار لم يمر مرور الكرام، وأشعل نقاشًا واسعًا حول مستقبل اللاعبين، و"حدود" المال في زمن الاحتراف.

هذا الرفض لم يكن مجرد موقف شخصي، بل بدا كصفحة رمزية لمحاولات متواصلة تقوم بها "السعودية" لتلميع صورتها عالميًا عبر استقطاب كبار النجوم والمشاهير، من خلال عروض خيالية تدفعها جهات مرتبطة بـ"هيئة الترفيه". هذه الاستراتيجية، التي تُعرف عالميًا بـ"الغسل الرياضي"

واعتقال ، الحريات تقييد يشمل ، ثقل حقوقي سجل عن الأنظار تحويل إلى تهدف ، (Sportswashing) المعارضين، وغياب العدالة في ملفات حساسة.

وبينما انخرط بعض اللاعبين في هذه العروض بدافع المال أو نهاية المسيرة الرياضية، جاء موقف برونو ليطرش سؤالاً أخلاقياً يتجاوز حدود الملاعب: إلى أي مدى يمكن أن يكون اللاعب شريكاً في إعادة تشكيل صورة سياسية لدولة ما؟ وهل يقف الرياضي عند حدود الملعب، أم يحمل معه جزءاً من مسؤولية الضمير العام؟

في زمنٍ طغت فيه لغة المال على لغة الشغف، وفي وقتٍ باتت فيه الملاعب تُفَرِّغ من نجومها لصالح مشاريع رياضية كبرى مدعومة سياسياً ومالياً، اختار النجم البرتغالي برونو فرنانديز أن يُغرِّد خارج السرب. رفض قائد مانشستر يونايتد عرضاً فلكياً من السعودية، ليُعيد تعريف مفهوم الولاء والانتماء في عالمٍ لم يعد يعرف من الرياضة سوى صفقاتها.

لم تكن العروض السعودية مجرد شائعات صحفية، بل حقيقة مؤكدة، توّجت بمفاوضات مباشرة بين وكيل برونو فرنانديز، ميغيل بينيو، وإدارة نادي الهلال السعودي، داخل فندق "فور سيزونز" في الرياض. عرض الهلال كان خرافياً بكل المقاييس: راتب أسبوعي معفى من الضرائب يوازي أربعة أضعاف راتبه الحالي الذي يبلغ 400 ألف دولار، وصفقة إجمالية تقدّر بأكثر من 271 مليون دولار لمدة ثلاث سنوات، منها 135 مليون دولار لمانشستر يونايتد نفسه. ومع ذلك، كان رد القائد البرتغالي واضحاً: "لن أبيع نفسي للسعودية".

رفض فرنانديز، رغم كل الضغوط، هو فعل رياضي نادر في حقبة غزت فيها الأموال كل شيء. لم يفكّر اللاعب فقط في الراتب أو الامتيازات، بل في ما يمثّله لنفسه، لناديه، ولجماهيره. تمسكه بالبقاء في الدوري الإنكليزي الممتاز، والمنافسة على الألقاب الكبرى، بدا وكأنه تعبير حي عن فكرة أن المال لا يمكنه شراء الشغف.

في خضم حملة ضخمة تُعرف إعلامياً بـ"الغسيل الرياضي"، تسعى السعودية لتلميع صورتها عالمياً عبر الرياضة، خصوصاً بعد الاتهامات الواسعة المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان والبيئة. رأينا نجومًا كبارًا، من كريستيانو رونالدو إلى بنزيمة، ينجذبون للبريق المالي، لكن فرنانديز قرر أن يقف على الضفة الأخرى.

وبحسب صحيفة "تلغراف"، فإن لدى اللاعب تحفظات واضحة حول الانتقال إلى "السعودية"، ليس فقط لأسباب رياضية، بل أخلاقية أيضًا. هذا الموقف عزز من صورته في الأوساط الإعلامية والجماهيرية، ورفع له مكانة تتجاوز حدود ملعب "أولد ترافورد"، ليغدو رمزًا للثبات الرياضي أمام سياسات الهيمنة المالية.

من المفارقات الجميلة أن رفض برونو للعرض السعودي لم يُضعف موقفه المالي، بل زاد من قيمته التسويقية بشكل غير مسبوق. شركات عالمية سارعت للتعاقد معه في حملات إعلانية ضخمة، استثمرت في صورته كـ"لاعب لا يُشتري". لقد تحوّل موقفه إلى علامة تجارية، واستثمار في المصداقية، عوضته - وربما فاق - ما كان سيحصل عليه من عقد الهلال.

هكذا يصبح الرفض نفسه نوعًا من "القبول": قبول بعقد غير مكتوب مع الجماهير التي تؤمن أن هناك من لا يزال يلعب من أجل الشعار، وليس فقط من أجل الشيك.

قرار فرنانديز لا يخصه وحده. فقد ألقى بحجر في مياه راكدة. في نفس السياق، رفض السويدي ينس كاجوست، لاعب الوسط المٌعار سابقًا إلى إيسويتش تاون، عرضًا مغريًا من نادي نيوم السعودي، مفضّلًا البقاء في إنجلترا. رغم محاولات تعطيل انتقاله مجددًا إلى ناديه الإنجليزي، تمسك اللاعب بخياره. رسائل متفرقة، لكنها واضحة: ليست كل الأبواب تُفتح بالمال.

أما في الجهة المقابلة، فقد اختار لاعبون مثل إنزو ميلو وإيفان جيساند الانضمام لمشاريع خليجية، ما جعل من برونو وكاجوست استثناءً يضيء الطريق لمن يبحث عن بوصلة أخلاقية وسط فوضى المال.

في زمن كانت فيه الأندية تباع نجومها لأسباب مالية بحتة، خاصة مع الضغوط الاقتصادية، رفض ما نشستر يونايتد نفسه التفریط ببرونو رغم العرض الخرافي. وهذا إن دلّ على شيء، فعلى مدى ما يمثّله اللاعب للنادي. هو أكثر من لاعب وسط، هو القائد، الروح، وقطعة أساسية في مشروع العودة للمجد. ولا غرو أن مدرجات "أولد ترافورد" تهتف باسمه في كل لقاء.

في ظل زحف الرأسمال على الملاعب، يصبح قول "لا" عملاً ثوريًا. برونو فرنانديز لم يرفض فقط عرضًا سعوديًّا، بل رفض أن يُعامل كسلعة. رفض أن يكون مجرد أداة في صراع النفوذ والهيمنة. فضّل أن يكون قائدًا في ما نشستر، على أن يكون ثريًا بلا جمهور، بلا روح، بلا تحدي.

قراره كتب سطرًا جديدًا في كتاب كرة القدم الحديثة. سطرًا يقول: "لا زال هناك من يلعب من أجل

الشرف، من أجل القميص، من أجل الحلم... لا من أجل الحساب المصرفي.

في النهاية، لا يُمكن فصل قرار برونو فرنانديز عن المشهد الأوسع الذي يشهده عالم كرة القدم اليوم، حيث باتت الملاعب مسرحًا لصراعات لا تتعلق فقط بالنقاط والألقاب، بل بالصورة، والتأثير، والقيم.

وبينما تسعى بعض الدول إلى استخدام الرياضة كأداة دبلوماسية لتجميل الواقع السياسي، يظهر من وقت لآخر لاعب يذكّر الجميع بأن الانتماء لا يُشترى، وأن المال - مهما بلغ - لا يستطيع شراء التاريخ، ولا احترام الجماهير، ولا شرف القميص.

رفض برونو ليس مجرد "صفقة لم تتم"، بل لحظة وعي نادرة في زمن يغلب عليه الصمت أو التواطؤ، ويكفي أنها أثارت أسئلة قد تكون بداية مراجعة لمستقبل الرياضة... ودور الرياضي الحقيقي في هذا العالم المتغيّر.